خطبة صلاة الجمعة 17/3/2023 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(جبر الخواطر في رمضان)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: 9-11].

قال المفسرون: تشير الآيات إلى أنه جبر الخواطر واستئلاف الخلق من أعظم المقاصد في تمام الدين.

وقال تعالى في جبر الخواطر المنكسرة: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 241] فمن كُسِر خاطرها بالطلاق استُحبَ أن تُجبَر بنفقة زائدة على حقوقها.

عنوان خطبة اليوم: **جبر الخواطر في رمضان**

أيها الإخوة:

جبر الخاطر مصطلح يعني العطف على المحتاج، والعون للمصاب، والسعي لإدخال السرور على قلبيهما.

وجَبرَ خاطرَه إذا سلّاه وعزّاه وفرّج الغم عنه، وجبر خاطره إذا طيب قلبه وتدارك ما فات من أمره، ومنه قولهم "على الله جبر الخواطر".

الحزين محتاج إلى من يجبر خاطره بكلمة حانية، والفقير محتاج إلى من يجبر خاطره بنفقة كافية، والمريض محتاج إلى من يجبر خاطره بدعاء العافية، والمظلوم محتاج إلى من يجبر خاطره بشفاعة وافية.

عندما يُقضى الدين عن المدين ينجبر خاطره، وعندما تصل المسافرَ رسالةٌ أو مهاتفةٌ ينجبر خاطره، وعندما تفتح للمهموم باب الأمل وتؤمله بالفرج ينجبر خاطره، وعندما تعين أرملة أو مسكيناً أو يتيماً تُجْبَرُ خواطرهم.

وقد جرت عادة هذه الأمة أن تتقرب إلى الله بجبر الخواطر في الأيام عامة وفي رمضان خاصة، وعلمت أن من سار بين الناس جابراً للخواطر أدركه الله في جوف المخاطر، وأن من فرَّج عن أخيه كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، فالجزاء من جنس العمل.

وصفت السيدةُ خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث بدء الوحي، بأنه كان معروفاً بخصال جابرة للخواطر، ففي البخاري قالت عائشة رضي الله عنها: (... فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي! فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي.

فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ).

ووصفت كتب التراجم رجالات هذه الأمة بجبر الخواطر:

ففي طبقات ابن سعد: كان للصحابي أبي بزرة الأسلمي جفنةٌ من ثريد غُدوةً، وجفنةٌ عشيةً، يُطعم منها الأرامل واليتامى والمساكين.

وفي سير أعلام النبلاء: كان المنصور صاحب المغرب يجمع الأيتام فيأمر للصبي بدينار وثوب ورغيف ورمانة، وكان يعود المرضى يوم الجمعة.

وفيه أيضاً: القاضي محمد بن علي المروزي، لُقِّب بالقاضي الخيَّاط لأنه كان يخيط بالليل للأيتام والمساكين حسبة لله تعالى، ويعدها صدقة.

وفي تاريخ بغداد: قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي: ما رأيت أحسن خلقاً من الحسن بن زياد، ولا أقربَ مأخذاً، ولا أسهلَ جانباً، كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه.

وفي سير أعلام النبلاء: أراد حسان بن سعيد المخزومي أن يبني جامعاً، وكان تاجراً عظيم التجارة، فأتته امرأة بثوب لتبيعه، وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع، وكان الثوب يساوي نصف دينار، فطيَّب خاطرها، واشتراه منها بألف دينار، وخبأ الثوب كفناً له.

وفي مراقي الجنان: كان أبان بن أبي عياش يدعو إخوانه فيصنع لهم الطعام، ويجيزهم بالدراهم.

وكان حماد بن أبي سليمان يفطّر كل ليلة في شهر رمضان مائة إنسان، فإذا كان ليلة الفطر كساهم ثوباً ثوباً، وأعطاهم مائة مائة.

ومن لطيف ما ذكروا في جبر الخاطر ما ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة عن عبد الله بن المبارك، قال:

كان عبد الله بن المبارك ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث. قال: فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب، فسأل عنه فقالوا: إنه محبوس لدين ركبه.

فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ قالوا عشرة آلاف درهم، فلم يزل يستقصي حتى دُلَّ على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلَّفَه ألا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً. وقال: إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس.

وسافر عبد الله ليلاً، وأُخرج الفتى من الحبس، وقيل له: عبد الله بن المبارك كان ها هنا وكان يذكرك، وقد خرج. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة، فقال: يا فتى أين كنت؟ لم أرك في الخان؟ قال: نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين. قال: وكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس. فقال له عبد الله: يا فتى احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك. فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله.

أيها الإخوة:

ونحن نستعد لاستقبال شهر رمضان بتوبة صادقة، ورد الحقوق إلى أصحابها، وصدق الهمة في الإقبال على الله تعالى؛ حريٌّ بالقادرين أن يُعِدُّوا العُدَّة لجبر خواطر المكسورين وتطييب نفوس الفاقدين والتخفيف عن عباد الله المحتاجين.

الغني الدافع للزكاة والصدقات يجبر خواطر الفقراء والمساكين.

والبائع المرخص الأسعار قدر إمكانه يجبر خاطر ضعفاء المشترين.

والطبيب الذي يعين مريضاً في ثمن دوائه وعلاجه يجبر خاطر المرضى والمتألمين.

والحرفي الذي يتساهل في بدل أتعابه يجبر خاطر الفاقدين.

وصاحب العمل الذي يقدم منحاً لموظفيه يجبر خاطر العاملين.

والموظف الذي يسهل على الناس يجبر خاطر المراجعين.

وما أجمل أن نقبل اعتذار المخطئ بحقنا وخصوصاً عندما نعلم أن خطئه غير مقصود، فالصفح والمسامحة تجبر الخاطر.

وما أجمل أن تدخلَ على والديك بطعام يحبونه أو بخبر ينتظرونه فتجبر خاطرهم وتدخل السرور عليهم.

الزوج الذي يخفف عن زوجه وأولاده، والزوجة التي تحافظ على مال زوجها، والابن الذي لا يرهق والديه بطلباته، والبنت التي لا تكلف الخاطب ما يشق، كل هؤلاء يجبرون خواطر الخلق، وما عبد الله بمثل جبر الخواطر ومراعاة المشاعر ومواساة المنكسر والحائر.

وحسب المسلم أن يتذكر أن الجبار اسم من أسماء الله تعالى الحسنى وقد قالوا في معناه: أنه الذي يجبر الفقر بالغنى والمرض بالصحة، والخيبة والفشل بالتوفيق والأمل، والخوف والحزن بالأمن والاطمئنان، فهو سبحانه جبار متصف بكثرة جبره حوائج الخلائق.

وطلب الجبر كان دعاءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته، فقد أخرج الإمام الترمذي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بين السجدتين: «**اللهم اغفر لي، وارحمني، واجبرني، واهدني، وارزقني**».

وبجبر الخاطر أمرنا القرآن الكريم:

﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 9-10] قال العلماء: (كما كنت يتيماً يا محمد فآواك الله، فلا تقهر اليتيم ولا تذله، بل طيب خاطره وأحسن إليه وتلطف به، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك، فنهى الله عن نهر السائل وتقريعه، وأمر بالتلطف معه وتطييب خاطره، حتى لا يذوق ذل النَهْر مع ذل السؤال.

يقول الإمام سفيان الثوري: ما رأيت عبادة يتقرب بها العبد إلي ربه مثل جبر خاطر أخيه المسلم).

أيها الإخوة:

رمضان شهر الصوم وشهر البر وشهر الجِد وشهر التعاون فطيبوا به نفساً وأرضوا به رباً.

أخرج النسائي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يُبَشِّرُ أصحابه: «**قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرٌ مُبَارَكٌ؛ رَمَضَان، افْتَرَضَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيْهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيْهِ أَبْوَابُ الْجَحِيْمِ، وَيُغَلُّ فِيْهِ الشَّيَاطِيْنُ، فِيْهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**».

وأخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، لَقَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ مَا أَظَلَّ الْمُسْلِمِيْنَ شَهْرٌ قَطُّ خَيْرٌ لَهُمْ مِنْهُ، ... إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُعِدُّ فِيْهِ الْقُوَّةَ لِلْعِبَادَةِ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ لَيُعِدُّ فِيْهِ الغَفَلَات، فَهُوَ غُنْمٌ لِلْمُؤْمِنِ، وَوِزْرٌ عَلَى الْمُنَافِقِ**».

والحمد لله رب العالمين